

واسمها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها ، فال بصير من الالفاظ هو المحسن .
لأن قيل : من أى وجه علم أرباب النظم والشر المحسن من الالفاظ حتى استعملوه
وعلموا التبيع منها حتى قرء ولم يستعملوه ؟

قيل لهم : إن هذا من الأمور المحسومة التي شاهدنا في نفسها ، لأن الالفاظ داخلة
في حيز الأصوات ، فالذي يsteller السمع منها ويعيل إليه هو المحسن ، والذي
يذكره ويغير عنه هو التبيع . ألا ترى أن السمع يsteller صوت البabil من الطير
وصوت الشرور ويعيل اليهما ، ويذكره صوت التراب ويغير عنه ، وكذلك يذكره
نعيق الحمار ولا يجد ذلك في صهيول القرم ، والالفاظ جارية هذا المجرى فانه
لا يختلف في أن لفظة « المزقة » و « الدببة » حسنة يstellerها السمع ، وان لفظة (البعاق)
قبيحة يذكرها السمع . وهذه الكلمات الثلاثة من صفة المطر ، وهي تدل على معنى واحد ،
ومن هنا فاتك ترى لفظي « المزقة » و « الدببة » وما جرى مجراهما مألوفة الاستعمال
وترى لفظ « البعاق » وما جرى مجراه متروكاً لا يستعمل ، وان استعمل فانما
يستعمل جاهل بحقيقة الفصاحة لو من ذوقه غير سليم .

لقد ثبت ان التصريح من الالفاظ هو « الظاهر فيين » ، واما كان ظاهراً يينا
لأنه مألف الاستعمال ، واما كان مألف الاستعمال لمكان حسنه ، وحيث مدرك
بالسمع ، والذي يدرك بالسمع اعلم هو القول لأن صوت يتألف من مخارج المعرف ،
لما استثنى السمع منه فهو المحسن وما يكرره فهو التبيع ، والمحسن هو الموصوف
بالفصاحة والتبيع غير موصوف بفصاحة لأن خصائصها لمكان قبحه . ولو كنّا
فصاحة لأمر يرجع إلى المعنى لكان عليه الالفاظ في الدلالة عليه سواء ليس
منها حسن ومنها قبح ، وما لم يكن كذلك علم أنها تخص القول دون المعنى .
وابن الأثير لم يفصل بين القول والمعنى في هذا القول واما تخص القول بصفة هي له
والمعنى يجيء فيه خستا وتبعا .

ولاشارة إلى الفصاحة هذه للتلذذين قاله : ووقد ذكر من تلذذ من علماء
اليمن للالفاظ المفردة خصالهن ومهنات تصف بها ، ولما نظرنا في ذلك ، ووجدنا من

لهم شيئاً فتولف فيه وكل ذلك استبعـد الآخر شيئاً فخرافـ فيـه ، ولو حـقـروا
النـظر وـرقـوا عـلـىـ السـرـ فيـ اـنـصـافـ بـعـضـ الـاـلـفـاظـ بـالـمـسـ وـبـعـضـهاـ بـالـقـيـحـ لـماـ كانـ
يـبـعـدـهـ خـلـافـ فـيـ شـيـءـ مـنـهـ ، (١) .

ورـدـ رـأـيـ منـ ذـعـبـ إـلـىـ أـنـ كـلـ الـاـلـفـاظـ حـسـنـ وـقـالـ : « وـمـنـ يـلـغـ جـهـلـهـ إـلـىـ
أـنـ لـاـ يـفـرـقـ بـيـنـ لـفـظـةـ (ـالـخـصـنـ)ـ وـلـفـظـةـ (ـالـمـسـلـوـجـ)ـ ، وـبـيـنـ لـفـظـةـ (ـالـلـدـامـةـ)ـ وـلـفـظـةـ
(ـالـاسـنـاطـ)ـ ، وـبـيـنـ لـفـظـةـ (ـظـيـفـ)ـ وـلـفـظـةـ (ـالـخـشـلـلـ)ـ ، وـبـيـنـ لـفـظـةـ (ـالـأـسـدـ)ـ وـلـفـظـةـ
(ـالـفـدـوكـسـ)ـ ، فـلـاـ يـبـعـدـهـ أـنـ يـخـاطـبـ وـلـاـ يـحـلـوبـ بـجـوـابـ ، بـلـ يـنـزـكـ وـشـائـهـ كـمـ قـبـلـ :
أـنـ كـوـاـ الـخـاطـلـ يـجـهـلـهـ وـلـوـ لـقـيـ الـبـرـ (٢)ـ فـيـ رـحـلـةـ »ـ وـمـاـ مـثـالـهـ فـيـ هـذـاـ الـقـاـمـ الـأـكـنـ
يـسـوـيـ بـيـنـ صـورـةـ زـيـةـ سـوـدـاءـ شـوـاهـ المـظـقـ ذاتـ عـيـنـ حـمـرـةـ وـشـفـةـ خـلـبـةـ كـأـهـاـ
كـلـرـةـ وـشـرـ قـطـطـ (٣)ـ كـأـهـ زـيـةـ ، وـبـيـنـ صـورـةـ رـوـمـيـةـ يـفـسـاهـ مـشـرـبـةـ بـحـمـرـةـ ذاتـ
خـدـ اـسـبـيلـ وـطـرـفـ كـحـيلـ ، وـبـسـ كـأـهـاـ نـظـمـ مـنـ لـفـاحـ ، وـطـرـةـ كـأـهـاـ لـلـيلـ عـلـ صـبـاحـ .
فـاـذـاـ كـانـ بـاـسـادـ مـنـ سـقـمـ النـظـرـ أـنـ يـسـوـيـ بـيـنـ هـذـهـ الصـورـةـ وـهـذـهـ فـلـاـ يـبـعـدـ أـنـ يـكـونـ بـهـ
مـنـ سـقـمـ النـظـرـ أـنـ يـسـوـيـ بـيـنـ هـذـهـ الـاـلـفـاظـ وـهـذـهـ .ـ وـلـاـ فـرـقـ بـيـنـ النـظـرـ وـالـسـمعـ فـيـ
هـذـاـ الـقـاـمـ فـاـنـ هـذـاـ حـسـةـ ، وـقـيـاسـ حـاسـةـ عـلـ حـسـةـ مـنـاسـبـ .ـ ثـمـ قـالـ : « وـمـنـ لـهـ
أـدـنـيـ بـعـثـرـةـ يـطـمـ أـنـ لـلـاـلـفـاظـ فـيـ الـاـذـنـ نـفـةـ لـلـبـنـةـ كـنـفـةـ لـوـتـارـ ، وـصـوتـاـ مـنـكـراـ
كـصـوتـ حـمـلـ ، وـأـنـ هـاـ فـيـ قـلـمـ اـيـضاـ حـلـاوـةـ كـحـلـاوـةـ الـمـلـ وـمـرـلـاـرـةـ كـفـرـلـاـرـةـ
لـلـفـاظـ ، وـهـيـ عـلـ ذـكـ تـبـرـيـ عـبـرـيـ لـلـفـاظـاتـ وـلـلـطـوـمـ »ـ (٤)ـ .

وـذـكـرـ أـنـ اـبـنـ سـنـانـ قـدـ تـحـدـثـ عـمـاـ يـشـعـلـ بـالـلـفـاظـ لـلـوـاحـدةـ مـنـ الـاـوـصـافـ وـقـسـمـهاـ
هـذـهـ اـقـامـ - - كـامـرـ - - وـفـيـماـ قـالـ اـبـنـ سـنـانـ لـاـ حـاجـةـ إـلـيـهـ ، لـاـنـ يـأـخـدـ الـخـارـجـ

(١) المثل المأثور ج ١ ص ١٦٨ :

(٢) الـبـرـ : ما يـسـ منـ الـبـرـةـ فـيـ الـبـرـ أيـ الـبـرـ ، أوـ لـجـوـ كـلـ ذاتـ مـخـلـبـ مـنـ السـبـاعـ

(٣) الـبـرـ القـطـطـ : الـقـصـيرـ الـبـعدـ.

(٤) المثل المأثور ج ١ ص ١٦٩ - ١٧٠ .